خطبة صلاة الجمعة 3/1/2014 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(المسجد في عام)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾

وقال سبحانه: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49]

وقال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ [النازعات: 34، 35]

أخرج البيهقي في شعب الإيمان عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أنه قَالَ: **«جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَعِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»**.

وأخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمسا قبل خمس: شبابَك قبل هرمك، وصحتَك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغَك قبل شغلك، وحياتَك قبل موتك**».

عنوان خطبة اليوم:

(المسجد في عام)

أيها الإخوة:

الأزمة التي نزلت والتي نسأل الله تعالى تعجيل كشفها بلطفه، لا يستطيع امرؤٌ بمفرده القيام بأعبائها ورفعها، بل لا تستطيع جماعةٌ بعينها القيامَ بذلك، ولكن الجميع إذا تحملوا مسؤولياتهم فيها، وبذلوا المستطاع لها، وجَأَروا إلى الله تعالى في رفعها، رُفِعَت وتركتْ وراءَها خيراً كبيراً.

قرأت في المثل الإنكليزي: إذا كنَسَ كلُّ امرئٍ أمام دارِهِ سيغدو الشارعُ كلُّه نظيفاً.

فإذا عمل كلُّ امرئٍ ما يجب عليه ستنفرج الأزمة -بعون الله-.

وقرأنا في القرآن الكريم قولَه تعالى عن حادثة الإفك، وفيها ما فيها من الأزمة والبلاء: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: 11] وكم من محنةٍ أورثتْ منحةً، وكم من بليةٍ خلَّفتْ عطيةً، وكم من عسرٍ ولَّد يسراً.

من هنا أحببت أن أستعرض معكم ماذا فعل مسجدكم -أنس بن مالك- خلال عام مضى..

ثم إن مريدي النجاح يخططون ما سيفعلون، ثم يفعلون ما خططوا له، ثم يقيمون ما فعلوا، ومن هنا أيضا أحببت أن نقيم معاً ما فعل المسجد خلال عام مضى.

وفي هذا العرض لدينا محوران: محورٌ علميٌّ، ومحورٌ عملي:

أما المحور العلمي: فخلال العام المنصرم خطبتُ على هذا المنبر ثمانيَ وأربعين خُطبةً، وتغيَّبْتُ عنكم أربعاً، عرضتِ الخطبُ لمواضيعَ تهتم بالأسرة في الأزمة، ومواضيع تهتم بالأسواق التجارية في

الأزمة، ومواضيع تخصُّ المناسبات الدينية، ومواضيع متفرقةٌ، وسلسلتَي (براءة الذمة، وهدي النبي صلى الله عليه وسلم في الشدائد والأزمات) وأذكر أنني أنهيت سلسلة براءة الذمة بقولي:

هذا حديثي لكم عن الذمم المترتبة على العبد في حق العباد وفي حق الله تعالى، وعن آليات تبرئةِ الذمة من كلٍّ منها.

تُرى.. هل نلقى الله تعالى بريئي الذمةِ غيرَ مشوشين؟.

تُرى.. هل يجمعنا الحوضُ ونلتفُّ حولَه ونشرب من كف النبي صلى الله عليه وسلم؟.

تُرى.. هل نلتقي في سوق الجنة؟.

روى الإمام الترمذي، عن سعيد بن المسيب –رحمه الله– قال: لقيتُ أبا هريرة، فقال لي: اسأل الله تعالى أن يجمعَ بيننا في سُوقِ الجنة، فقلت: أفيها سوقٌ؟ قال: نعم، أخبرني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**أنَّ أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذَنُ لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربَّهم ويبْرزُ لهم عرشُهُ، ويتبدَّى لهم في روضةٍ من رياض الجنة، فيوضع لهم منابِرُ من لؤلؤٍ، ومنابرُ من ياقوت، ومنابرُ من زَبَرْجَد، ومنابرُ من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم –وما فيهم دني– على كُثْبانِ المسك الكافور، وما يَرَوْن أنَّ أصحاب الكراسي أفضَلَ منهم مجلساً**».

قال أبو هريرة: قلتُ: يا رسولَ الله، هل نَرى ربَّنا؟ قال: «**نعم, هلْ تتمارَوّن في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟**», قلنا: لا، قال: «**كذلك لا تتمارون في رؤية ربِّكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضَره الله تبارك وتعالى محاضرة، حتى يقول للرجل منهم: يا فلان بن فلان، أتذكر يوم كذا وكذا، إذ قلت: كذا وكذا؟ فيُذَكّره ببعض غَدَراتِهِ في الدنيا، فيقول: يا ربِّ، أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى, بسعَةَ مغفرتي بلَغْتَ منزلتَك هذه، فبينما هم على ذلك غشِيتْهُم سحابَة من فوقهم، فأمطرَت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، ويقول ربُّنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددتُ لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم، فنأتي سُوقاً قد حفّتْ به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطُرْ على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا بغير بيع ولا شراء، وفي ذلك السوق يلْقى أهلُ الجنةِ بعضُهم بعضاً، فيقبل الرجل من منزلته المرتفعة فيلقى من هو دونه**

–وما فيهم دَني– فيَرُوعَهُ ما عليه من اللباس، فما ينقضي آخرُ سلامه عليه حتى يصيرَ عليه ما هو أحسنُ منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزَن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا، فيقُلْنَ: مَرْحباً وأهلاً، لقد جئت وإنَّ لك من الجمال أفْضَلَ مما فارقتَنَا عليه، فنقول: إنا زرْنا اليوم ربَّنا الجبار، ويحقُّ لنا أن ننقَلِبَ بمثل ما انقلبنا». [قال الترمذي: غريب]

نسأل الله تعالى أن يعيننا على براءة الذمم, وأن يجعلنا مستعدين للقائه, وأن يجمعنا على الحوض وفي سوق الجنة.

هذا عن الخطب في المسجد خلال عام، في درس الاثنين لتفسير القرآن الكريم أنهينا بفضل الله خلال العام تفسير سورة الكهف وأذكر أنه جاء في تفسير خاتمتها عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾

حديثُ الطبراني في المعجم الصغير عن عمر رضي الله عنه قال: إن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم فقال: يا رسول الله، أيُّ الناس أحبُّ إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ, وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ, أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً, أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا, أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا, وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا, وَمَنَ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ, وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ, وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ»**.

وأما المحور العملي: ففي مجال معونة الأسر المتضررة فإننا بشكل عام نعين جميع الجمعيات التي تزورنا في أيام الجمع، وبشكل خاص جمعية البركة للتنمية الاجتماعية، ويُعتبَر رُوَّادُ مسجد أنس أهمَّ الداعمين لها، وقد أنفقتِ الجمعيةُ خلال العام المنصرم قرابة المائتين وخمسين مليوناً، ما بين مساعداتٍ مادية وعينية على قرابة أربعة ألاف أسرةٍ متضررة، وجَعَلَتْ شعارَها: (لأنهم أهلُنا وضيوفُنا.. حتى يعودوا إلى بيوتهم).

وإني لأذكر هنا قول الشاعر:

مَنْ يفعلِ الخير لا يُعدمْ جوازيَه لا يذهب العرفُ بين الله والناس

أما في دورات القرآن الكريم في المسجد فقد حفظ أبناؤكم وبناتكم خلال العام –بفضل الله– مئات الأجزاء من القرآن الكريم، وختم القرآنَ الكريم حافظٌ جديدٌ في السابعة عشرة من عمره.

ودرس خلال العام الفائت خمسُ مائة أخٍ وأختٍ منكم في المسجد مباحثَ مهمةً في فقه المعاملات المالية، في دورة مكثفةٍ أُلقِيَت في رمضان.

هذا أيها الأخ عن المسجد في العام المنصرم، فماذا عنك أنت؟.

أريد منك الآن أن تجيب في سرك على هذه الأسئلة الثلاثة بنعم أو لا:

1. هل أنت بريءُ الذمة أمام الخلق وأمام الخالق؟.
2. هل لا زلتَ تُعين الناس، أو أنك تعبتَ ومللتَ؟.
3. هلِ ازددتَ معرفةً بفقه المعاملات المالية حتى تساعدنا بتحكيم الشرع في أسواقنا التجارية؟.

إن كانت الأجوبةُ نعم، فاحمد الله تعالى، وإن كانت لا... فبادرِ الآن.

كان الحسن البصري يقول: ما من يوم ينشقُّ فجرُهُ إلا نادى منادٍ من قبل الحق: يا ابن آدم أنا خلقٌ جديدٌ وعلى عملك شهيدٌ، فتزوَّد مني بعمل صالحٍ فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

والحمد لله رب العالمين